الموسيقى والبقاء

لم يبق الان ريب في ان لاختلاف الاعمال تأثيراً مهماً في اختلاف مقادير الاعمار فان صناعة الانشاء تكون على الغالب سبباً لقصر اعمار المنشئين ولا سيما في هذه البلاد التي يكونون فيها مستخدمين ملزمين بالانشاء الزاماً ذلك فوق ما يصابون به من قلة الاجر على طول العمل . وبخلافهم الكهنة مثلاً فانهم على الغالب يكونون اطول الناس اعماراً وذلك لانهم اكثر الناس امناً من المستقبل ولان الدنيا وطن لجميعهم فلا يعد الواحد منهم غريباً اين نزل. ولقد يجيء بعدهم ارباب اعمال كثيرة تختلف اعمارهم فيها باختلاف ما تقتضيه من وقت وجهد وهو اختلاف يقول رجال التدبير انه ممكن تلافيه سهل تساويه وذلك بان يكلف كل انسان وسعه من عمل ووقت وراحة فيعيش الجميع على اعمار متساوية تقريباً ولكن دون الوصول الى ذلك مراقي عظيمة من المدنية ربما لا تسهل كلها او لا تتم الا من طريق الاضافة والقياس ويبقى الظفر بها من جملة هذه الاماني التي قدر لها عدم التحقيق

ولقد ينسبون طول البقاء الى معيشة الانسان مستقلاً بفكره وعمله عن سواه حتى لا يشغله شاغل عما حوله فمن قدرت له هذه الحالة عاش على الغالب طويلاً عمره موفورة مسرته وقد وجدوا رجال الموسيقى من جملة الداخلين في هذا الشرط وذلك ليس لانهم يكونون اغنياء كما يستفاد من كمال الموسيقى وزخرفها بل من غبطة الموسيقي ومحبة الناس له وكون صنعته لا تقتضي رأس مال ولا يخشى عليها من نفاد او كساد ذلك عدا ما يرافق صاحبها من اللهو

الدائم والسرور الملازم والابتعاد عن كل ما يكره سماعه ويسوء منظره بحيث يعد الموسيقي الجائل بين الناس والمرموق منهم على الدوام وهو كأنه في جو مستقل وعالم منفرد لانه لا حزب له ولا سياسة ولا وطن ولا اشغال بل كل الناس اصدقاؤه وكل مكان وطنه . وان من كانت حياته كذلك كلها سرور من اولها الى آخرها وكلها غنى وكفاف وامن من الدهر فغير عجيب ان تطول ايامه وتمتد اوقاته

ثم يجيء بعد الموسيقي الفلاسفة والاطباء العظام فان هؤلاء يشبهون الموسيقيين من جهة عدم مبالاتهم بصروف الدهر وامنهم من حوادثه لان تناهيهم في الحكمة والرشاد قد هوّن عليهم الخطوب حتى لا يشعروا بها فضلاً عن انهم يكونون على الغالب ارباب سعة ويسار فلا يشتد بهم العدم الى الحد المبرح عدا ما يكونون عليه من علم الصحة والاعتدال في المعيشة مما يعين كله على طول البقاء دون ريب ولكنهم اذا كانوا والموسيقيين على حد واحد من جهة العمر فلا شك ان الموسيقيين اكثر منهم سروراً لانه ليس بعد الموسيقى ما يلهي ويسر

ولقد كان من جملة الادلة على ذلك ما بدا لحكومة الولايات المتحدة في تقويمها الاخير لاهاليها فانها قد وجدت عددهم ٧٦ مليون نفس ووجدت بينهم ١٢٨٩ رجلاً و٢٢٤٧ امرأة وهم ممن يبلغون المئة من اعمارهم واكثرهم من رجال الفلسفة والموسيقى بحيث ترجح لها ان هاتين الحالتين من اشد الحالات عوناً على البقاء ذلك عدا ما يبدو من اعمار الموسيقيين والفلاسفة الماضين فان معدل عمر الفلاسفة كان زائداً عن الثمانين كما ظهر من دارون الجديد وابقراط القديم وكما ظهر في الموسيقيين من عمر وكنر الالماني وفردي

الايطالي وكثيرين من رجال الحالتين لا فائدة من ذكر اسمائهم ولكن كثرتهم تدل على صدق القول بان الموسيقى والفلسفة التامة تكونان عوناً عظيما على طول البقاء ولعله يوجد حالات اخرى لم يضبطها تقويم

على انه قد يظن البعض انه اذا كان طول البقاء موكولاً الى هاتين الحالتين فانه سهل ميسور لان الموسيقى شائعة والفلسفة ملء الكتب ولكن الحقيقة ان الذين نشير اليهم هم الماهرون البارعون فان الرجل اذا كان موسيقياً من جهة الصنعة فقط فانه لا يكون آمناً من دهره محبوباً من رهطه الاحين يكون منفرداً بعلمه مميزاً بصنعته او يكون ذا صوت رخيم وهو ما لا تسمح به الطبيعة الا للاقلية وكذلك الفلسفة التامة والطب المتناهي فانهما لا يصاحبان كل متفلسف ولا يكونان مع كل طبيب

ولكن لما كان طول العمر هو من جملة مواهب الله فان الحالات التي نشير اليها هي من جملة تلك المواهب فلا ينبغي ان يطمع بها من لم يكن موهوباً اياها ولاسيما الموسيقى والصوت الحسن فان صنة الاحسان الالهي ظاهرة فيهما كل الظهور وكلاهما من جملة المقدور

ابو العلاء

هو الشاعر الحكيم المشهور باستعماله الحكم في اثناء شعره ولا سيما في لزومياته ولكنه لا يعد من شعراء الطبقة الاولى لان اكثر شعره ولا سيما في ديوانه سقط الزند لا يكاد يعد شعراً لانه يشبه ابا تمام في تعمده دس وحشي الالفاظ ومهجور التراكيب في نظمه ولهذا يندر ان ترى له قصيدة خالصة من هذه العيوب فان قصيدته التي يرثي بها امه ومطلعها

سمعت نعيها صمي صمام وان قال العواذل لا هام

والقصيدة الاخرى التي يرثي بها احد الاشراف ومطلعها

اودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

وكثيرات غيرها مما لا يكاد يحسب الا كلاماً موزوناً لا طلاوة شعر فيه ولا شروط شعر فضلاً عن اساءته في تعمد ذلك تعمداً كأنما يحسبه فضلاً وهو عين النقص وهذا مما يعد غريباً من مثل ابي العلاء المشهور ببعد النظر وجودة النقد . ولكننا حين نرجع الى طبع ابي العلاء نجده شاعراً مجيداً من الطبقة الاولى لانه حين يرسل الشعر من عند نفسه مضمناً اياه اغراضه الخاصة كان يعلو به الى ارفع المنازل فان قصيدته اللامية التي يفتخر بها ومطلعها

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

تعد من اعلى درجات الشعر ولا يمكن ان يكون اجود منها في معناها